العرب
الأربعاء 2020/08/26
السنة 43 العدد 11801

هل يمكن للفرد أن يصوغ حياته بمعزل عما حوله

«دفاتر الورّاق» للروائي الأردني جلال برجس: رواية تنقّب في أوراق سرّية

تتناول الرواية العربية المعاصرة مكابدات الإنسان العربي في حياته المشحونة وما يعانيه هذا الإنسان الذي يتشابه من قطر عربي إلى آخر، من أزمات وجودية ونفسية وفكرية وعاطفية وحتى جسدية في بيئة تخنق الحريات الفردية وتكبّل الأفكار وتحطّ من شأن الفرد. وقد نجحت الكثير من الروايات في هذا المنحى من خلال أبطال مختارين بعناية.

عواد علي
كاتب عراقي

تدور أحداث رواية "دفاتر الورّاق"، للروائي والشاعر الأردني جلال برجس حول شخصية ورّاق مثقف منعزل وقارئ نهم للروايات يفقد أسرته وبيته، ويصبح مشرّدا على غرار الفيلسوف "ديوجين"، فتقع له جملة من الأحداث تجعله حديث الشارع العربي في زمن باتت الميديا الاجتماعية الجديدة أهم عناصره.

> الرواية تقوم على بنية بوليسية، تتضافر مع منحى نفسي للأحداث، ليجد القارئ نفسه في بؤرة توتر وتشويق

تكبر حكايات الوراق وتأخذ مسارات غير متوقعة، وتصغر حكايات كان يمكن لها أن تحدث أثرا واضحا، إذ تتبدى عبر هذا الجانب أزمة الإنسان في هذه المرحلة سياسيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، وتطفو على السطح مراوحته بين الماضي والحاضر، وكيف يمكن للماضي أن يخلّف آثارا سلبية مثلما يفرز مناطق إيجابية ومضيئة.

مكابدات وأسئلة

يكابد الوراق الكثير من التبدّلات التي طرأت على واقع العاصمة الأردنية عمان، حالها حال الكثير من العواصم العربية في هذا الزمن، فتشير الرواية إلى عمق ردّات الفعل لدى الإنسان حيال المكان والزمان حينما يؤولان إلى صورة مغايرة، وتبرز جملة من الأسئلة التي يطلقها السرد في خضم عالم يتغير بسرعة، ويُمنى بالكثير من السمات الجديدة، مثيرا مكامن يعتقد الكثيرون منّا أنها هامشية.

بعد تحولات غرائبية على شخصية الوراق، وجراء العزلة والوحدة والتشرد، وما واجهه من قسوة في عالم صاخب، تتفاقم حالته النفسية، فيراهن القارئ عبر مسار النص على المحمول المعرفي لدى الشخصية، وما ينوي فعله كخروج على الواقع بكل عناصره.

وتكشف الرواية عمّن سينتصر على الآخر بعد صراع مرير، ليس فقط على الصعيد الداخلي، بل مع أكثر من جهة حوله، حيث تتشابك الحكايات مع بعضها بعض لتؤدي إلى مقولة رئيسية في الرواية مفادها أن الخوف حتما سيؤدي إلى الخراب.

كما تستثير الرواية، الصادرة حديثا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، عددا من التساؤلات أهمها: إلى أي مدى يمكن للفرد أن يصوغ حياته بمعزل عما حوله من مؤثرات؟ ومتى يمكن للشخصية الثانية في داخل الإنسان أن تخرج للعلن فيتحول الإنسان إلى وحش؟

وتسرد عبر صفحاتها الـ368، ومن خلال عدد من الدفاتر التي تعثر عليها الشخصيات الساردة، حكايات عن أشخاص يفقد بعضهم بيوتهم، ويعاني بعضهم الآخر من أزمة مجهولي النسب، ويقاسي آخرون عدم انتمائهم إلى عائلات كبيرة، ويكابد آخرون سياط الماضي والشعور بالهزيمة، ويتحمّل عدد منهم مشاق سطوة الفقر والتهميش والإقصاء في عالم بات طبقيا بامتياز، الأمر الذي يلقي الضوء على جانب من التشرد مقابل ما تشهده المدن من ضجيج وصخب كثيرين.

بنية بوليسية

تتناوب فصول الرواية في سرد أحداث يقع بعضها في الماضي، ويقع بعضها الآخر في الوقت الحاضر، بين عامي 1947 و2019، ففي الماضي تقدم صورة واضحة عن عائلة عاشت في بيت الشَعَر، وواجهت جفافا حدث في منطقة الشام عام 1947، وما خلفه عليها حينها من نتائج قاسية في أواخر مرحلة الإقطاع في الأردن. وفي الحاضر يعيش جزء من هذه العائلة في عمّان، حيث النمط الجديد من القسوة في المدن. وتتقاطع مصائر الشخصيات مع بعضها فتبرز قيمة البيت، الذي يرمز للوطن مقابل أكثر من شكل للخراب.

وتعتمد الرواية، من خلال هذا التناوب على تقنية التضاد الزمني، بحيث يواجه القارئ مشهدا من الزمن الحاضر ومشهدا روائيا من الماضي، ويكتشف بعد مضي عدد من الصفحات أن ثمة علاقة بين تلك الشخصيات المتناثرة، وأنها لا بدّ أن تجتمع عند نقطة معينة لتشكل الحدث الرئيس.

وتقوم الرواية على بنية بوليسية، تتضافر مع منحى نفسي في صياغة الأحداث، ليجد القارئ نفسه في بؤرة من التوتر والتشويق اللذين يتصاعدان مع مرور الصفحات، ويدفعانه إلى الانهماك في البحث عن إجابات على الكثير من الأسئلة الشائكة، ويكشف السرد شيئا فشيئا عن جوانب معتّمة في الحدث الروائي، لكنها تأخذ القارئ إلى جوانب أخرى بحاجة إلى إضاءة، حتى وهو في أشد لحظات تركيزه، بينما تمرّر الرواية إليه ممّا وراء السرد ثيمة تستهدف الإنسان وأزمته وما يعانيه، لتلفت انتباهه إلى التفكير في واقعه، وما يمكن أن يؤول إليه.

يُذكر أن جلال برجس من مواليد 1970، وقد بدأ تجربته الأدبية بكتابة الشعر والقصة وأدب المكان قبل أن يتجه إلى كتابة الرواية، وعمل في الصحافة الأردنية عددا من السنين، وترأس بعض الهيئات الثقافية، وهو الآن رئيس مختبر السرديات الأردني، ومُعد ومقدم برنامج إذاعي بعنوان "بيت الرواية".

صدر له في الشعر "كأي غصن على شجرة"، و"قمر بلا منازل"، وفي القصة مجموعة "الزلازل" الحائزة على جائزة روكس بن زائد العزيزي للإبداع، وفي أدب المكان نشر "شبابيك مادبا تحرس القدس"، وصدرت له في مجال الرواية أربع روايات هي "مقصلة الحالم"، "أفاعي النار"، "سيدات الحواس الخمس"، و"حكايات المقهى العتيق" رواية مشتركة، ونال عن روايته "أفاعي النار" جائزة كتارا للرواية العربية عام 2015، في فئة الرواية غير المنشورة، ووصلت روايته "سيدات الحواس الخمس" إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر" عام 2019.

أزمة الإنسان العربي بين ذاته والآخرين (لوحة للفنان ضياء العزاوي)

كتاب «النبطية، المكان والعمران والذاكرة» رحلة تاريخية خلف أسوار مدينة لبنانية

النبطية (لبنان) – أطلقت جمعية "محترف راشيا" كتاب "النبطية، المكان والعمران والذاكرة" للكاتب والباحث علي مزرعاني.

وقد كانت لرئيس الجمعية شوقي دلال كلمة بالمناسبة قال فيها "يتناول الكتاب تاريخ المدينة وتطورها العمراني والتراثي بالصورة والوثيقة على مدى قرون ثلاثة، ولكن فعليا يعود بالتاريخ إلى ما قبل الميلاد بقليل عبر بحثه في اللقى الأثرية المتبقية على تخوم المدينة وفي القرى المحيطة بها، من مقابر مدفنية ونواويس ومعاصر العنب وآبار المياه المحفورة بالصخر إلى النقوش والفسيفساء التي نجت من عبث العابثين، والتي تدل على تاريخ المدينة الموغل في القدم من العهد الفينيقي والبيزنطي وصولا إلى الحقبة الصليبية وما تلاها".

وأضاف دلال "يتحدث الكتاب عن تاريخ العمارة في أحياء المدينة ويبدأ بحي السرايا القديم والذي هو أساس المدينة ومنها انطلقت عائلاته إلى بقية الأحياء، إلى حي البياض وحي الميدان ثم حارة المسيحيين التي قدم أهلها من مناطق لبنانية مختلفة واستقروا في المدينة بعد العام 1860".

وتابع "مئات الصور والوثائق التي تناولت تفاصيل المنازل من الناحية العمرانية والفنية والتاريخية، من القناطر إلى النوافذ والمضويات والأسطح والمداخل. من المنزل الترابي ذي الغرفة الواحدة إلى القرميد الفخم ذي القناطر العربية، إلى منزل الليوان والرواق والمنزل ذي العقود الحجرية والذي يعود تاريخه إلى القرن السابع عشر، وغيرها من النماذج الموثقة بالصور والتاريخ، مع نبذة عن صاحب البيت وصولا إلى وضعه الحالي. كما يتناول بعض المحطات الاجتماعية والتراثية في النبطية من عاشوراء إلى سوق الاثنين الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر من الميلاد".

> كتاب «النبطية، المكان والعمران والذاكرة» سجل تراثي لمدينة فقدت نسيجها الاجتماعي وتغرّبت في ظل عالم موحش

وأشار إلى أن "الكاتب يتحدث بحنين عن أصحاب المنازل الذين رحلوا أو هاجروا ولم يعودوا، كما يتحدث عن سير البيوت التراثية القديمة والتي زال معظمها لصالح الكتل الإسمنتية التي لا لون لها ولا طعم إلا فيما ندر".

واعتبر دلال أن الكتاب "سجل تراثي لمدينة فقدت نسيجها الاجتماعي وتغرّبت في ظل هذا العالم الموحش، وكي لا نفقد أيضا اللحظات الجميلة على الأقل من تاريخها المصور، كان هذا الكتاب الأرشيفي المصور، الذي جرى جمعه وتصويره على مدى أربعين عاما من تاريخ المؤلف التوثيقي والفني، والذي ارتبطت النبطية باسمه بالأعمال الوثائقية والمصورة لها ولجنوب لبنان، والعديد من الكتب التي أصدرها"، مشيرا إلى أن "مقدمة الكتاب الهامة من توقيع نقيب المهندسين العرب الأستاذ الكبير رهيف فياض".

الكتاب بحث عمراني وفني وتاريخي

«المسكونة» قصص ضبابية أبطالها شخصيات هلامية

عمان – تصطفي الكاتبة اللبنانية براءة الأيوبي لقصصها في مجموعتها "المسكونة"، عددا من الشخصيات التي تنطوي كلٌ منها على مفارقة تجعلها مادة غنية في سماتها التي تُقدَّم للقارئ، لكنها في الوقت نفسه تفتح العام على الخاص، لتُعبّر الشخصيات لا عن همومها الذاتية الخاصة فقط، وإنما أيضا عن ذلك الواقع العام الذي تبرز فيه مجموعة الانكسارات والخيبات المشكلة لواقعنا المعاصر.

وتشتمل المجموعة، الصادرة عن "الآن ناشرون وموزعون" بعمّان، على سبع وعشرين قصة، برزت خلالها قدرة الأيوبي على رصد السمات الدقيقة للشخصيات وللواقع الذي تعيش فيه.

وتقدم الكاتبة رؤيتها من خلال سرد مكثف مقتضب، ولغة مقتصدة، تتجه مباشرة نحو الفكرة التي تريد إيصالها للقارئ، وتهرب الأشياء خلال هذا السرد من عمومياتها لتغدو "نكرات" تحيل إلى خصوصيات الزمان والمكان الحاملَين لأحداث القصص، فترد العشرات من المفردات على هذه الصيغة التي تبتعد عن التعريف المباشر، ليمتلئ الكلام بـ"عُمْر" بدل "العُمر"، و"اهتمام" بدل "الاهتمام"، وإغداق وامتعاض وغثيان وبؤس وانهزام وشباب وعافية وحضور.. وغيرها من بداية المجموعة حتى نهايتها.

وتبدو قدرة الأيوبي واضحة على مزج العام بالخاص من خلال مجموعة من العبارات التي وردت في غير مكان من السرد، فنقرأ مثلا في "رشفة حنين": "وعلى حين اجتياح، خاضَ اشتباكاً طاحناً، ما استطاع خلاله أن يميِّز بين خصم وخليل. وكغائب عن الإرادة، انطلق يعْبر أجساداً، يمزّقها، يشتّتها، ويغدق عليها خيبته وانكساره. وكحيوانٍ مفترس، راح ينهش بدَناً من هنا، وآخَرَ من هناك. إلى أن تمكّنت منه الهزيمة، وأردَته.. بعد انسكاب شديد للزمن، بعد أن استعاد ذاتَهُ، والتقط سرَّ الحياة من جديد، يجد نفْسَه أسيرَ ماضٍ عاثَ في نفسه دمارا!".

ونقرأ كذلك في نصّ "المسكونة": "أهناك مكانٌ يمكنه استيعاب وجودي؟ أنا الكائن الهلاميّ.. رثّ الحال، عديم الجدوى، المهرِّج الرسميّ المعتمَد لتخفيف وطأة الأسى! ولكن.. لا بأس في المحاولة.. وذاك البحر المتّقد جنوناً، سيكون معبَراً للحلم..".

يشار إلى أن براءة الأيوبي وُلدت في مدينة طرابلس اللبنانية، وهي مجازة في العلوم السياسية والإدارية من الجامعة اللبنانية، وحائزة على شهادة الكفاءة من كلية التربية، تعمل أستاذة في التعليم الثانوي، صدر لها قبل هذه المجموعة كتاب في النصوص بعنوان "ذاكرة روح" (2018).